بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 79 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:17\04\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

من جملة النقاط التي نسجلها على الطرح المتقدم، أن صاحبه اعتبر أن القرآن الكريم له وجود مستقل ومنحاز قبل عملية الإنزال والتنزيل، وهذا الوجود لم يكن بصورة ألفاظ، وإنما أُلبس هذا الوجود بالقالب اللفظي بعد الإنزال والتنزيل.

فالقرآن بوجوده في اللوح المحفوظ وفي أم الكتاب وفي إمام مبين وفي كتاب مكنون –ما شئت فعبر– لم يكن عربياً، اكتسى ثوب العربية بعملية التنزيل.

هذا الكلام نوافق عليه، وهو صحيح. وقد دلت الأدلة عندنا على أن قرآن له وجود عيني وله حقائق عينية، وبالجعل والتنزيل صار عربياً ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾[1]، هنا ليس إشكالنا.

الإشكال هو أنه رتب على ذلك، وقال: لو كان القرآن قبل التنزيل والإنزال عربياً للزم أن يكون الله تبارك وتعالى عربياً.

إن كان المقصود صرف عروض العربية عليه كمتكلم، فهذا اللازم يترتب وإن خصصنا العربية بعد التنزيل، فهذا القرآن الذي بين أيدينا هو عربي، فإن مبدع الآيات في الكتاب المكنون هو جاعلها عربية، فينسب الأمر إليه. فإذا كان المقصود مجرد وصف المتكلم به بالعربية فهذا لا محذور فيه، وهذا اللازم يترتب حتى على قولك أن القرآن اكتسى ثوب العربية بعد التنزيل، ولكن لا محذور فيه.

وإن كان المقصود أن تصبح العربية من ذاتياته تبارك وتعالى فهذا لا يترتب لا قبل التنزيل ولا بعد التنزيل؛ لأن العربية وصف للكلام، والكلام والتكلم بالنسبة إليه تبارك وتعالى من صفات الفعل، وليس من صفات الذات حتى يكون بذاته عربياً.

إذاً هذا المطلب الذي أفاده باطل لا معنى له.

---

[1] الزخرف: 3

التعليق الآخر: في هذا السياق ذكر أن القرآن الذي هو في اللوح المحفوظ وفي الإمام المبين والكتاب المكنون هو من علم الله، وعلم الله تبارك وتعالى أعلى أنواع علوم التجريد.

هذه المقدمة الأولى صحيحة، فهذا القرآن الذي في اللوح المحفوظ من علم الله، وعلم الله أرقى وأرفع أنواع علوم التجريد. علوم التجريد أي التي لا تتعلق بالجزئيات، إذا كان مقصوده هو المصطلح. مثلاً في المنطق عندما يتحدثون عن الإشكال الأربعة، فتلاحظ في عملية البرهنة يأتون بالرموز والاصطلاحات، كل ب حـ وكذا في باب العكوس والإشكال الأربعة، كي يقول أن هذه القضايا مجردة عن خصوصية معينة، حتى لا يتوهم الطالب أن هذه النتيجة جاءت لأجل الحيوان والناطق، وأما لو غيرنا الحيوان والناطق لا تصدق هذه النتيجة، لهذا جاءوا بأمور مجردة.

وهذه المقدمة الثانية -أيضاً- صحيحة.

الأمر الثالث الذي ذكره، أن أعلى أنواع علوم التجريد هو الرياضيات، فعندما نتكلم عن علم الله تبار وتعالى فنحن نتكلم عن الرياضيات، فالله سبحانه وتعالى علمه أرقى العلوم؛ لأن علمه رياضي.

واستشهد لذلك بقوله تبارك وتعالى في سورة الجن: ﴿وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[2].

أي: معنى ذلك أن علم الله سبحانه وتعالى بالموجودات هو كمي بحت؛ لأن العدد من مقولة الكم، وموضوع الرياضيات العدد الذي هو قسم الجبر. أما الهندسة موضوعها الشكل.

فعلم الله سبحانه وتعالى الذي هو أرفع أنواع العلوم هو علم كمي.

التعليق على ذلك، فنقول: هذه المقدمات التي ذكرها بعضها وإن كان من المسلمات أن علم الله سبحانه وتعالى وأرقى أنواع العلوم، التعبير فيه مسامحة، بل يمكن أن نقول كما تقول الآيات الشريفة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾[3] أي علمه أرفع أنواع العلم.

---

[2] الجن: 28
[3] يوسف: 76

لكن لمجرد وجود آية في القرآن الكريم تعلق العلم فيها بالكم، فهل يعني ذلك أن علمه ينحصر بالعلم الكمي؟ ولا يكون هناك علم بالكيفيات، ولا علم بالجواهر، وسائر المقولات العرضية وما شابه ذلك. فمن أين جاء بذلك؟ هل الآية الواردة في سورة الجن تدل على الانحصار؟

فلا يوجد برهان أقامه على ذلك، بل الآيات الأخرى تدل على خلاف ذلك، ولا نريد أن نطيل الكلام في هذا البحث.

التعليق الأخير: يرتبط بتفسيره لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[4] إلى أن يقول ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[5]. يقول: نفهم من هذه الآية ومن بعض الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله أن الله أنزل القرآن الكريم دفعة واحدة في ليلة القدر، فنفهم من ذلك أن في ليلة القدر تم إشهار القرآن، قبل ليلة القدر كان القرآن في اللوح محفوظ وفي الكتاب المكنون، وعندما جاءت ليلة القدر أشهر هذا القرآن، فكلمة شهر لا يقصد منها العدد، وإنما يقصد منها الفعل، أي ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[6] في ليلة القدر تم إشهار القرآن الكريم، وإشهار القرآن الكريم أفضل من كل إشهار، فهذا معنى ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[7].

هذا الكلام عجيب جداً، وهو يناقض المقدمة الأولى التي ذكرها، وهي أن الباحث بمجرد يرى رواية أو نص لا ينبغي أن يعمل به مباشرة، فلابد من دراسة هذا النص دراسة بعقله وباللغة وتمام العلوم وفي الواقع الخارجي.

فهو من أين أتى بهذه الفكرة؟ فهي لا توافق اللغة، ورفع اليد عن الظهور اللغوي من دون أي دليل، فهو مجرد استنسابات استنسبها في هذا المجال.

كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ أفعل تفضيل، وأفعل التفضيل كما هي صيغ التفضيل تقابل بين الشيئين، واحد تقدم وواحد تأخر، الذي تقدم الليلة والذي تأخر الشهر، والليلة زمن فمقتضى المقابلة ومقتضى اللغة ومقتضى الفهم العرفي لجميع الناس أن شهر أيضاً زمن، فهذه الليلة الواحدة أفضل من ألف شهر، وإذا

---

[4] القدر: 1
[5] القدر: 3
[6] القدر: 3
[7] القدر: 3

الشهر جعلتها بمعنى الإشهار، فكلمة ألف بأي معنى تجعلها؟ فيقول إن ألف ليس بمعنى العدد، ألف بمعنى التآلف، وهو جمع شيء إلى شيء.

فهذا تفسير للألفاظ، واختراع تفسير للألفاظ بدون أي مستند لا لغوي ولا عرفي ولا شرعي ولا عقلي، فهو مجرد استحسان واستنساب.

هذا بعض ما نعلق به على هذا الكلام، وإلا يوجد تعليقات أخرى إن شاء الله تكون واضحة لكم إذا طالعتم هذا الكتاب، فلا نريد أن نضيع الوقت أكثر في هذا البحث.

النتيجة التي ذهبنا إليها: أن علماء التفسير والمقاربة التفسيرية للتفريق بين الإنزال والتنزيل ليست متفقة عندهم، ونقلنا كلمات علماء التفسير في صدر البحث. وهذه المقاربة الخاصة لا تغني ولا تسمن من جوع.

الصحيح عندنا: لنصل إلى نتيجة نهائية في التفريق بين مفردتي الإنزال والتنزيل نحتاج إلى عدة مقاربات، وهي مقاربة لغوية، ومقاربة من خلال النظر في النظائر، ومقاربة استعمالية، ومقاربة من خلال الروايات.

بعد هذه المقاربات نصل إلى نتيجة يمكن للباحث أن يطمئن إليها في عملية التفريق بين الإنزال والتنزيل.

وهذا إن شاء الله نبدأ به في الدرس اللاحق.